

التميز العنصري والعقائدي في الرواية اليمنية

"علي المقري أنموذجاً"

الطالبة: نرجس علي عبد الله باعباد

كلية التربية/عدن - جامعة عدن

الملخص

تضمنت روايات الكاتب علي المقري العديد من القضايا الاجتماعية، أهمها التمييز العنصري والعقائدي في اليمن. فناقشت رواية "طعم أسود رائحة سوداء" قضية "الأخدام" الذين يُعدّون في أدنى طبقة في المجتمع اليمني.

أما رواية "اليهودي الحالي" فقد ناقش فيها حياة المسلمين واليهود وأظهر مدى الحقد والكراهية التي تسود علاقتهم، والتي تعود لأسباب دينية وسياسية.

Abstract

The novels of writer 'Ali Almuqri' included many social issues, the most important of which was racial and ideological discrimination in yemen

The novel black taste, black smell discussed the issue of the 'Akhdam' who are considered a class in yemen society.

As for the novel the current jew, he discussed the lives of Muslims and showed the extent of the hatred and hatred that prevails in their relationship, which is due to religious and political reasons.

كلمات مفتاحية:

الرواية:

جاء تعريف الرواية لغةً في معجم لسان العرب: رَوِيَ من الماء واللبن، رِيًّا وريًّا وروَى، وثرَوَى وارتوى: بمعنى، والاسم الرِيُّ، وأرواني، هو رِيَانٌ، وهي رِيًّا (...). رواية: المزايدة فيها الماء، والبعيرُ، والبغلُ، والحمارُ يُستقى عليه. روى الحديث يروي روايةً وترواهُ: بمعنى، وهو روايةٌ للمبالغة، روى الحبلُ، فتله فارتوى، روى على أهله، وروى لهم: أتاهم بالماء. روى على الرجل: شدّه على البعيرِ لئلا يسقط، روى القوم: استقى لهم (...). الروي: حرف القافية، وسحابةٌ عظيمة، القطر والشربُ التام. الراوي: من يقوم على الخيل⁽¹⁾.

الرواية كلمة أصلها الاسم (رواية) في صورة مفرد مؤنث وجذورها (روي) وجذعها رواية وتحليلها (ال + رواية)⁽²⁾.

سلسلة من الأحداث تُسرد بسرد نثري طويل يصف شخصيات خيالية أو واقعية وأحداثاً على شكل قصة متسلسلة، كما أنها أكبر الأجناس القصصية من حيث الحجم وتعدد الشخصيات وتتنوع الأحداث، وقد ظهرت في أوروبا بوصفها جنساً أدبياً مؤثراً في القرن الثامن عشر، والرواية حكاية تعتمد على السرد بما فيه من وصف وحوار وصراع بين الشخصيات وما ينطوي عليه ذلك من تأزم وجدل وتغذية الأحداث⁽³⁾.

العنصرية:

هي الاعتقاد بأن مجموعة معينة هم أرفع مستوى من مجموعة أخرى، ويمكن التعبير عن العنصرية بشكل علني على شكل نكات عنصرية، وافتراء أو جرائم كراهية. ويمكن أن تكون متجذرة أكثر في المواقف والقيم والمعتقدات النمطية.

¹ (معجم المعاني الجامع، <https://www.almaany.com>)

² (نفسه.

³ (ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، <https://ar.wikipedia.org>)

ويتضمن التمييز العنصري أي عمل سواء كان بقصد أو بغيره والذي ينتج عن استبعاد أشخاص على أساس العنصر وفرض أعباء عليهم وليس على غيرهم أو حجب أو تحديد حصولهم على الامتيازات المتاحة لبقية أفراد المجتمع.

ومصطلح عنصرية هو اسم يصف حالة كون شخصٍ ما عنصرياً، أي اعتقاد الشخص بأنه يمكن أو يجب تصنيف البشر إلى أعراق ذات قدرات وميول مختلفة، مما يحفز بدوره الإيديولوجيات السياسية التي تهدف إلى توزيع الحقوق والامتيازات على أساس الفئات العرقية حيث يتم تمييز عرق بحقوق وامتيازات أكثر من الآخر⁽¹⁾.

التمييز:

التمييز لغةً: فصل كامل عن غيره وتخليصه منه. ومعانيه: انفصال الأشياء ووضوحها. يقال "امتازوا يوم أيها المجرمون" أي انفصلوا، و"تكاد تميز من الغيظ" أي تتفصل بعض أجزائها عن بعض. ومصطلح التمييز يعني: المعاملة غير العادلة لشخص أو مجموعة بناءً على خصائص معينة كالعرق أو الدين أو الجنس. وتعريفه هو استبعاد أو التقليل من قيمة شخص أو مضايقته بسبب خصائص معينة: كاللون، أو الأصل الوطني، أو الدين، أو الإعاقة، أو العمر. (2)

العقائدي:

تأتي كلمة "العقائدي" من كلمة "العقيدة" DOCTRINE باللاتينية، والتي تعني التعليم، أو المبادئ أو مجموعة من المواقف التي تُدرّس كجوهر نظام معرفة معين.

مصطلح العقائدي جاء متعلقاً بالعقيدة، وهي: مجموعة من المبادئ أو المعتقدات الراسخة التي يلتزم بها شخص أو مجموعة، سواء كانت دينية، فلسفية، أو سياسية.

وعقائدي مفردتها عقيدة، وجمعها عقائد، وتعني ما عقد الإنسان عليه قلبه جازماً به من الأفكار والمبادئ، فهو عقيدة سواء كان حقاً أو باطلاً، وتستخدم الكلمة للإشارة إلى الاعتزاز برأي معين.

والفكر العقائدي: هو الفكر المتأثر بخلفية عقائدية معينة، حيث يؤثر المعتقد على طريقة التفكير والفهم وتفسير الأمور. (3)

⁽¹⁾ ويكيبيديا، <https://ar.wikipedia.org>

⁽²⁾ نفسه.

⁽³⁾ نفسه.

المقدمة

جاءت الرواية اليمنية معبرةً عن واقع المجتمع اليمني، وتبرز أهم القضايا التي تؤثر فيه وفي سلوك وقيم أفرادها. ومن هذه القضايا ما يمكن تداركها وحصرها وعمل الحلول اللازمة لحصرها والقيام بحلها، لكن هناك قضايا شائكة يصعب حلها ويجب البحث عن حلول تخفف من وطأتها وجدتها، من هذه القضايا قضية التمييز العنصري، الذي يضع أفراد المجتمع في طبقات متفاوتة، وهذه الطبقات كانت متواجدة منذ أمد بعيد، وإن خفت وطأتها اليوم وتفاوتت نسبتها مع مرور الزمن، وتطور الأحداث في اليمن.

ونلاحظ أنّ الطبقات تبدأ من الأعلى، طبقة السادة والأشراف الذي ينتمي نسبهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ ((ظهرت في اليمن ثقافة تفضيل طبقة السادة، أي أحفاد الرسول، وشاع أنّ ابن السيد يحق له حكم الباقيين لأنه الأرفع حسباً ونسباً، ولاحقاً، وربما قبل ذلك، ظهر تقسيم الناس على أساس المهن التي يعملون فيها، فحظي رجال الدين الذين عملوا قضاءً بمكانة اجتماعية أرفع من مكانة غيرهم. ولعبت الأحداث السياسية دوراً هاماً في خلق تمييزات اجتماعية. فمع سقوط دولة بني نجاح في تهامة غرب اليمن، بين عامي 1012 و 1158، ظهرت طبقة العبيد إذ تم تحويل حكام بني نجاح ذوي الأصول الحبشية إلى عبيد لدى حكام الدول التي حكمت اليمن بعد سقوطهم، ليتوارث أبناؤهم العبودية والتهميش المستمرين بأشكال مختلفة رغم إلغاء "الثورة اليمنية" للعبودية.))⁽¹⁾.

وما يهمنا هنا طبقة المهمشين الذين يُطلق عليهم "الأخدام"، إذ تعيش هذه الفئة بمنعزل عن الناس لا يريد أحد أن يختلط بهم أو يقترب منهم. وبمقارنة حال المهمشين اليوم بما كانوا عليه في السابق، فأننا نلاحظ أنّ حالهم أهون بكثير، فقد كانوا في السابق مُسخرين لخدمة الطبقة العليا من السادة والمشايخ والأعيان، عكس حالهم اليوم، فقد نرى أخداماً محتقرين، وذلك بسبب التشرّد والتسوّل، وقيامهم بأفعال وسلوكيات شاذة ينفر منها الناس، مثل: لباسهم الرث وإهمال نظافتهم

⁽¹⁾ أصيل سارية، صراع الطبقات في اليمن تمييز متوارث على أساس اللون والنسب والتهمة، رصيف، 22 الخميس 9 إبريل 2018، تاريخ الدخول 2024/5/14م الثلاثاء، <Net/ article/145059> . raseef 22 .

الشخصية، وتلفظهم بألفاظ خارجة، وغير ذلك من السلوكيات. لكن مقابل ذلك نرى فئة من المهمشين "الأخدام" يسكنون في مساكن أبناء المجتمع، فاختلطوا بالناس، ونالوا حظهم من الرعاية الصحية والتعليم، والحصول على وظائف محترمة في المجتمع، وذلك يعود لتطبعهم بطباع أبناء المجتمع العاديين، فاهتموا بنظافتهم وسلوكياتهم، فتبدل حالهم إلى الأفضل، بل قد ينكرون بأنهم ينتمون إلى "الأخدام"، وهذه الفئة غالبًا ما تسكن المدن.

إنَّ التمييز موجود في اليمن وبصور مختلفة، بين أبناء المجتمع الواحد -بعيدًا عن المهمشين- فنجد السادة لا يزوجون بناتهم إلا من أبناء السادة، والقبيلي لا يزوجون بناتهم إلا من قبيلي، وإن خفت هذه الظاهرة لكنها مازالت موجودة. والاختلاف والتمييز قد يطال حتى مشايخ العلم ورجال الدين، وهذه الظاهرة مازالت إلى الآن، فهناك السنّي، الصوفي، الشيعي. بل قد يظهر هذا التمييز من خلال السخرية الاستهزاء بين المناطق المختلفة في اليمن، ونعتهم بألفاظ أو ألقاب قد تقلل من مكانتهم واحترامهم.

أمَّا التمييز العقائدي الذي يحدث بين المسلمين واليهود في اليمن، فهو كان نتيجة كره وحقد بين الملتين نتيجة عوامل دينية وسياسية، وعند النظر لحياة اليهود في اليمن سنجد أنّ بداياتهم في اليمن كانت مبهمة وغامضة، وذلك لعدم وجود آثار توضح متى دخلوا اليمن، أما يهود اليمن أنفسهم فيؤمنوا أنّ بداية تواجدهم في اليمن يرجع إلى فترة حكم سليمان عليه السلام، ويؤكد بعض المؤرخين هذا استنادًا إلى ما جاء في النصوص الدينية، كما توجد رواية أخرى تقول إنّ نبوخذ نصر ملك بابل أرسل أسرى إلى جنوب الجزيرة العربية واليمن عقب تدمير الهيكل الأول عام 586 ق.م. ويقول بعض المؤرخين إنّ اليهود وصلوا إلى اليمن بعد تدمير الهيكل الثاني ومدينة القدس 70م. وربما كل هذه الروايات عن بداية استقرار اليهود في اليمن جاءت لتعطي عمقًا تاريخيًا لهم. والثابت أنّ الطائفة اليهودية في اليمن من أقدم الطوائف اليهودية في العالم، كما أنّ اليهود قديمًا وجدوا في اليمن الملجأ الآمن، إذ كان اليمن آنذاك ينعم بحرية فكرية تمكنت اليهود في

ظلها من نشر دعوتها التي انتشرت بين ملوك حمير، وبعد نشرها ظلت اليهودية والمسيحية في حالة صراع وحرب. وتأرجح وضع اليهود في اليمن بين القوة والضعف حتى ظهور الإسلام وانتشاره⁽¹⁾.

⁽¹⁾ الجزيرة نت، يهود اليمن والتعايش اليهودي العربي، <https://www.Aljazeera.net>، 2004/12/2، تاريخ الدخول 3 يونيو الاثنين 2024م.

أمّا وضع اليهود في اليمن بعد ظهور الإسلام، فقد دخل المسلمون اليمن بدون حروب، وتؤكد المصادر أنّ النبي محمد صلى الله عليه وسلم أمر جنوده ألا يفرضوا الإسلام على اليهود أو المسيحيين، وأوصى بهم خيراً.

ومن الجدير بالذكر أنّ وضع اليهود قبل دخول الإسلام اليمن كان متدهوراً منذ غزو الأحباش واضطهادهم لليهود، فجاء الإسلام فحسن من وضعهم، وتنفسوا في ظله نسيم الحرية. وفي نهاية الخلافة العباسية شهد اليمن -مثل كل الأقاليم- حركات انفصالية نتيجة ضعف الدولة العباسية، فتكونت عدة أسر حكمت اليمن، وفي عهد هذه الأسر تملك اليهود الضياع، وبدأت معاملة المسلمين لهم تسوء (1).

لقد كان الحال بينهم ما بين مدّ وجزر، فرغم أنّ اليهود كانوا يعيشون بأمان واستقرار، إلا أنّ هذا الوضع لا ينفي وجود حقّ وضغينة يكّنه الطرفان لبعضهما البعض، وأكثر ما سلط الكاتب الضوء عليه هو الصراع والتوتر السائد في علاقتهم.

وإذا جئنا إلى ما وردت عليه الآراء حول طبيعة علاقتهم، فهناك آراء كثيرة، منها أنّ اليهود كانوا يعاملون معاملة قاسية فيفرضون عليهم قيوداً مفرطاً، فقد وضعوهم في مرتبة ثانية بعد المسلمين، فلا يُسمح لهم بحمل السلاح أو حتى الجنبية (الخنجر) الذي كان يرتديها اليمنيون كرمز للنبل والشرف، كما أنه لا يُسمح لهم بركوب الخيل أو الحمير وغيرها من تلك الأمور، حتى لا يتساوون مع المسلمين. وفي الجهة المقابلة لهذا الرأي، فهناك من له رأي مختلف، وأصحاب هذا الاتجاه لا ينكرون التمييز العنصري الذي يتعرض له اليهود، إلا أنّهم لا ينظرون إلى هذه الصورة بتلك القتامة، حيث يرون أنّ اليهود لهم وجود ومكانة، ويحظون بمعاملة جيدة. وعموماً فكلا الاتجاهين: التشاؤمي والتفاؤلي يتفقان على أنّه بالرغم من الضغط الذي تعرض له اليهود اليمنيون من قِبَل الحكام المبتدئين لإخراجهم من اليمن، ورغبة الأئمة في تلبية طلب هؤلاء الحكام إلا أنّ الحكومة كانت تأخذ في الحسبان الاعتبارات الاقتصادية، فقد كان اليهود اليمنيون حرفيين مهرة،

(1) يهود اليمن والتعايش اليهودي العربي، الجزيرة نت، مرجع سابق.

فهم الحدادون والصاغة والمدراء في صك العملات، ولبراعة اليهود في هذه الحرف فقد حظوا بثقة الحكام، تلك الثقة التي لم يحظى بها المسلمون أنفسهم⁽¹⁾.

التمييز العنصري:

يعاني المجتمع اليمني من تمييز عنصري غير مقنن تضرب أطنا به في وجدان وثقافة وسلوك المجتمع بأسره، ففي المجتمع اليمني يُطال التهميش والإقصاء شرائح كثيرة تمثل نسبة كبيرة من سكان المجتمع، إذ يتم منعهم من الاختلاط والاندماج مع المجتمع. والتمييز في المجتمع اليمني لا علاقة له بالتمييز القانوني الذي غالباً ما يشير إلى عدم المساواة في الحقوق والواجبات، الذي يترتب عليه حرمان لكثير من الفئات والشرائح من حقوق الملكية والتعبير... لأنه تمييز اجتماعي بالدرجة الأولى أفرزته ثقافة المجتمع ومعتقداته الخاطئة⁽²⁾.

يوجد في المجتمع اليمني تمييزاً اجتماعياً وطبقياً حاداً، وعنصرية مقبلة بين أبناء المجتمع من حيث الانتماءات المذهبية، والمناطقية، والقبلية، ومن حيث المكانة التي يحتلها الفرد، ونوعية العمل الذي يمارسه، ورغم أنّ هذه الظاهرة قد انحسرت نسبياً في كثير من المجتمعات والبلدان، إلا أنها مازالت تمارس في مجتمعنا اليمني حتى اللحظة بشكل غير مقنن حتى أصبحت ثقافة يتوارثها الأجيال يصعب التخلص منها بسهولة⁽³⁾.

وفي هذا الفصل يعرض لنا الكاتب والروائي "علي المقري" هذه القضية من خلال عرضه لبعض الشرائح الاجتماعية التي تمثل الطبقة السفلى للمجتمع، عالم المهمشين من محترفي بعض الحرف الاجتماعية التقليدية المحترمة في المجتمع اليمني، وأيضاً من خلال عرضه لعالم الأخدام والتي أفرد لها رواية كاملة أسماها "طعم أسود رائحة سوداء" فقد تعمق الكاتب في كتابته لهذه الرواية حتى كدنا نظن أنه واحدٌ منهم، وما دل ذلك إلا على براعته وأسلوبه الفني المتقن والمتمكن في كتابته لهذه الرواية. يصور الكاتب الروائي "علي المقري" حياة هذه الشريحة من خلال دخوله عالمها وغوصه في تفاصيل حياتها التي تكاد تكون مبهمة عند الكثير، والتي قد ينتج عند الولوج فيها ثورة عارمة لا

⁽¹⁾ بقلم أفرام أيزك، اليهودية والإسلام في اليمن، مع صور لليهود اليمن، مركز الجزيرة للدراسات، مايو 2014/12م، تاريخ الدخول 3 يونيو/2024م الثلاثاء.

⁽²⁾ ينظر: الجهلاني، ص309.

⁽³⁾ ينظر، نفسه، ص112،309.

يمكن إخمادها فتدخله في قضايا شائكة ومعقدة؛ لما فيها من كشف المستور والدخول في الممنوع أو الحرمة الذي قلما أحد تجرأ وخاض فيها أحد قبله. وقبل الخوض في هذه الرواية والدخول لعالم هذه الشريحة رأينا أنه لا بد من إعطاء لمحة موجزة عنها، وأهم فئاتها.

المهشين:

تشمل هذه الشريحة الطبقة الاجتماعية السفلى من المجتمع، وينظر إليها باحتقار بصرف النظر عما يملك بعضها من مال أو ثروة. وتختلف أسباب احتقار هذه الشريحة بحسب طبيعة كل فئة من فئاتها، فالبعض بسبب المهنة التي يمتنها صاحبها، والبعض بسبب جنسه وهياؤه.

ومن هذه الفئات:

- أصحاب المهن التقليدية:

وهذه المهن تعد في نظر البعض مهن دونية تقلل من قيمة من يمتنها. ((وأهم هذه المهن: الحلاقة، الجزارة، الحجام، الدباغة، خدمة الحمامات البخارية، وهي مهن خمس يقوم بها أناس يطلق عليهم "بني الخمس")⁽¹⁾. إضافة إلى الدواشين والدالين وأصحاب المقاهي والإسكافيين (مصلحوا الأحذية).

- الحلاق(المزين):

شاعت مهنة الحلاق باسم (المزين) ووظيفته الرئيسية هي الحلاقة وإلى جانب الحلاقة يقوم بمهام أخرى مثل: الختان، خلع الأسنان، وخدمة الناس في المناسبات المختلفة، فيقوم بتوزيع الدعوات للمدعوين وخدمتهم، كما أنه يتقدم موكب العريس، وتقوم (المزينة) أو (الشارعة) بقص شعور النساء وتصفيفه أي بتجميل النساء، كما تشارك في ترتيب حفلات الزواج، بالإضافة إلى ذلك تقوم بخدمة مجالس النساء من خلال إعداد المداعة (النارجيلة) وأعداد الشاي، وإشاعة روح المرح والنكتة في أوساط النساء، وتروي لهن الأخبار والحكايات، ومقابل ذلك يتلقى المزين أجور نقدية⁽²⁾.

⁽¹⁾ قائد نعمان الشرجبي، الشرائح الاجتماعية التقليدية في المجتمع اليمني، دار الحدائق للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1986م، ص238

⁽²⁾ ينظر: قائد نعمان الشرجبي، مرجع سابق، ص240.

يظهر دور المزين أكثر في المناسبات والأعياد، فهو يتولى ذبح الحيوانات ويأخذ مقابل ذلك الجلد والرأس. كما يقوم بخدمة صاحب المناسبة والسهر على راحته، وتحلو هذه المناسبات بسماع دقات وضربات الطبول التي يقوم بها المزين، كما يقوم المزين في بعض المناطق بدق الطبل ليلة العيد، وفي نهار العيد الباكر يمر هو وعدد من أفراد أسرته على بيوت القرية مردداً الأغاني السعيدة، والتهاني بالعيد، ويتلقى منهم الهدايا. إلى جانب ذلك يقوم المزين ب(الحجامة) كما يقوم بمساعدة الفلاحين أثناء البذر والحصاد⁽¹⁾.. ويكون بذلك قد جمع بين مهنة المزين والجزار والحجام، والدوشان*.

الأخدام:

إنّ ظاهرة وجود المهمشين ليست ظاهرة حديثة، وإنما قديمة بقدم وجودهم والنظرة الدونية لهم ليست وليدة فترة معينة وستتقضي، بل هي ملازمتهم أينما كانوا وفي كل زمن يعيشوه، دائرة وضعهم فيها المجتمع وساعدهم على البقاء فيها تصرفاتهم الشاذة واتباعهم سلوكيات خارجة عن المألوف لا يقوم بها أفراد المجتمع من غير بني جنسهم، خصوصاً شريحة الأخدام، وهي أكثر فئة سلط الروائي الضوء عليها، فقد أفرد لها رواية احتوت تفاصيل حياتهم بكل مافيه من سلوكيات، وانزياحات ميزتهم عن غيرهم، سنتعرف عليها لاحقاً.

إنّ الأخدام ((يمثلون المرتبة السفلى والأخيرة في السلم الاجتماعي التقليدي، ويواجهون باحتقار شديد من كافة الشرائح الاجتماعية الأخرى))⁽²⁾.

وقد اختلفت الآراء حول أصل الأخدام، والأسباب التي دفعت المجتمع إلى عزلهم ومعاملتهم بهذه الدرجة الشديدة من الاحتقار.

أصلهم: التحقق من أصل الأخدام قد يبدو أمراً صعباً فلا يوجد رأي قاطع، أو اتفاقاً بين المؤرخين عن أصلهم، لذا يصعب تحديد هويتهم والأصول التي ينحدرون منها، رغم كثرتهم و انتشارهم في كافة المناطق اليمنية، ويعود ذلك كونها كانت جماعات غير مستقرة في أغلبها ولا يمتلكون تاريخاً يؤرخ لهم ولا توجد دراسات قديمة حولهم؛ فقد كانوا تبع قبائل يعيشون في كنفها وفي

⁽¹⁾ ينظر: نفسه، ص240-241

⁽²⁾ نفسه، ص259.

حمائتها؛ لذا لم يتم تناولهم من قبل المؤرخين في كتبهم (1)، لكن يتفق أغلبهم من خلال النظر إلى أوصافهم البيولوجية والتي تميزهم عن بقية أفراد المجتمع اليمني؛ فللخادم بشرة سوداء، وشعر أسود يميل إلى التجعد والقصر، وشفاه سميقة وخاصة الشفة السفلى، وأنف أفطس غالباً وذو فتحات كبيرة، وهذه الصفات تقترب كثيراً من الصفات البيولوجية للإنسان الزنجي، مما دفع بأكثر المؤرخون الباحثين إلى القول بأن أصل الأخدام يعود إلى أفريقيا،(2).

والبعض يرون أن أصلهم الحقيقي يعود إلى الحبشة؛ نظراً للعلاقة القديمة بين اليمن والحبشة، وصراعات مسلحة، وغزوات للأحباش(3).

وهناك من يرى ((أن الأخدام جماعة حبشية كانت محتقرة أصلاً في الحبشة، وأنها هاجرت مع الغزوات الحبشية واستقرت في اليمن ومارست نفس الأعمال الوضيعة التي كانت تمارسها في موطنها الأصلي (4) .

وهناك من يرى أن الأخدام هم العبيد الخارجين على القانون والطبقات الواطئة في الجيش الحبشي الذين قرروا البقاء في اليمن. ويرى المؤرخ اليمني عبدالرحمن الحضرمي بأن الأخدام هم من بقايا الموالى الأحباش الذين استقدمتهم دولة "آل نجاح" وهم موالى من أصل حبشي لتدعيم دولتهم في "زبيد" بتهامة(5).

وبالنتيجة تاريخياً لحياة هذه الفئة، ووضعهم الاجتماعي، فقد كان علي بن مهدي يطبق سياسته القاضية؛ باستخدام العرب لهذه الفئة لا كعبيد، ولكن كخدم بعد أن كانوا في عهد بني نجاح يتمتعون بمكانة أفضل بالنسبة إلى كونهم عبيد يخدمون في دولة بني نجاح واضطهادهم للمواطنين "العرب" وإذاقتهم مرارة الحياة؛ فحكّم عليهم بالعنف لمدة خمسة عشر عاماً وهو عمر دولة بني نجاح؛ فكان هذا كفيلاً بأن يجعل العرب في البداية يطبقون سياسة الدولة في امتهان هذه الفئة(6).

(1) ينظر: الجهلاني، مرجع سابق، ص313
(2) 260 ينظر: قائد نعمان الشرجبي، مرجع سابق.
(3) ينظر: نفسه، 263.
(4) نفسه. ص263.
(5) ينظر، نفسه 265.
(6) قائد نعمان الشرجبي، مرجع سابق، ص266

إذن فقد كان الاحتقار والنظرة الدونية لهذه الفئة ليست نظرة حديثة، وإنما لها جذور تاريخية ((وقد أدت هذه الهوة إلى ترتيب الوضع الاجتماعي للأخدام، وفرضت عليهم بعض المهن والحرف التي لايزال الكثير منهم يمارسونها حتى اليوم))⁽¹⁾.

عَرَضَ الروائي حياة الأخدام، وعَرَضَ من خلالها قضايا شائكة ومعقدة، فرواية "طعم أسود رائحة سوداء" تصور لنا حياة الأخدام التي طالما تساءلنا عنها وعن كيفية التأقلم في مثل هذه البيئة التي لا تصلح لحياة الإنسان الطبيعي، فأطلعنا على حياتهم البائسة التي تكاد تكون معدمة، والتشرد والجوع والمرض والمساكن غير المؤهلة للسكن، فلا نجد صرف الصحي، أو مكان يقضون فيه حاجتهم، إذ يستخدمون لقضاء حاجتهم علب من الصفيح يقول لسارد: ((في الصباح استيقظت على خرير بول عيشة ورائحة برازها النفاذة. فتحت نصف عيني. كانت تجلس مقرصة، لافه نصف ثوبها الأسفل على خصرها، وتحتها صحن قصديري صغير لاستيعاب ما ينزل منها. أحسّت بحركتي، إذ أدارت رأسها نحوي. لم تأبه، وظلت على وضعها...))⁽²⁾، إنهم يمارسون حياتهم على طبيعتها دون تزيّن أو تحفّظ، فلا يوجد في حياتهم شيء اسمه عيب أو حرام، لقد شكّلوا حياتهم حسب ما يريدون، فلا قانون يحكمهم أو أعراف اجتماعية يقفون عندها، فالغريزة هي من تحكمهم. أما حياتهم الاجتماعية فيصف الراوي عبدالرحمن "الأمبو" كيف يقضونها، فهم يحتفلون ويرقصون بطريقة مثيرة ومقرزة، يقول الراوي: ((اثنان منهم شاب وشابة، راحا يرقصان على إيقاع الأغنية بحركات سهوانية ملتاعة. اقترحت عيشة على الجميع، بعد فترة من وصولنا، أن يلعبوا لعبة الكيس. كان رجل وامرأة يدخلان في كيس كبير يتسع لهما، ويتعريان داخله تماماً...))⁽³⁾. كما تضم احتفالاتهم شرب الخمر الجماعي ((اكتظت الممرات أمام عششنا والعشش المجاورة، بالعشرات، نساء ورجال وأطفال. كل خمسة أو ستة أو سبعة أو أكثر، كانوا يتجمعون في دائرة حول فانوس صغير..... البعض يرتشف ببطء شراب الخمر البلادي في كؤوس نُحتت من بقايا قوارير

⁽¹⁾ نفسه، 266

⁽²⁾ طعم أسود، ص 42

⁽³⁾ نفسه، ص 50

بلاستيكية.....أحدهم ظل يطوف على الحلقات ويده علبة فارغة من عُلب التونة، يتسوّل بها خمرًا...))⁽¹⁾. فالانحلال، وشرب الخمر يقومون به مجاهرة دون خجل، بل هو أمر طبيعي بالنسبة لهم يمارسونه للترفيه والتخفيف عنهم من ضغوطات الحياة. فهم يشربون الخمر مزاج كما قالت عيشة إذ تسميه "الفساخ" ((نظرت إلى أطولهم وغمزت بعينها اليسرى، ثم التقت إلي "لا تنسى الفساخ"

أما الفساخ فلا أعرفه، أنا أو هي، ماهو؟

"هو شرب الخمر"، أوضحت عيشة.

"أمبو، وماتعرفش الفساخ؟".

قالت: "أمبو هم اللي يشربون. يفسخون به القات. إحنا الأخدام نشربه مزاج، بعد القات أو قبل القات أو مع القات."))⁽²⁾.

هذه السلوكيات جعلت الآخرين يشتمنون منهم إلى حد القرف أو التقزز فلا يؤكل معهم ولا يتزوجون منهم، ولا يؤمنون في الصلاة يصف الراوي: ((ما حدث أن سرور دفع بنفسه إلى مقدمة أحد صفوف المصلين المتأخرين ليكون إماماً لهم. لكنه ما إن بدأ بتلاوة الشعائر حتى أمسكه أحدهم من عضده وجذبه إلى الخلف صارخاً: "أعوذ بالله. آخر الزمان يؤم بنا خادم"))⁽³⁾. فالأخدام في نظر المجتمع فئة نجسة، بل أنجس من الكلب، فالكلب قد يُستخدَم الإناء من بعده بعد تسبيعه وغسله، أما الخادم فلا تذهب نجاسته إلا بكسره هذا ما قاله (سرور).

لا يمكن للخادم أن يعمل في أي وظيفة غير تنظيف الشوارع فقط، هذا ما قالته عيشة للأمبو عندما ذهب معها للمدينة للبحث عن عمل ((- بالنسبة لك الأمر سهل، فالخادم لا يمكن يشتغل في مقهى أو مطعم.

- لماذا؟

- يعتبرونه قذراً. نجساً، لا يليق بأمبو السماح له بمسك أواني طعامه أو شرايه.

- حتى إذا تنظف؟

⁽¹⁾ طعم أسود، ص58.

⁽²⁾ نفسه، ص56.

⁽³⁾ نفسه، ص70.

- حتى إذا تنظف. يقولون إن الواحد منهم إذا أكل مع خادم سرعان ما يجد الدود في الطعام لأنه يتناثر من أصابع الخادم. وإنه إذا لمس مادة غذائية لا تمر ساعات حتى تظهر فيها الدود.⁽¹⁾ إضافة إلى أن بقايا أكله تتحول إلى دود، وصلت معتقداتهم إلى أبعد من ذلك فهم يعتقدون إن الذي يتزوج منهم سواء -كان خادم أو مزين- يتحول إلى دود، وهذه المعتقدات موجودة منذ القدم، (("الملك شمسان أحب ابنة المزين مرجان فتزوجها. وفي صباح اليوم الثاني وجدوه تحول إلى دود" "لم تحول إلى دود يا أمي؟"

"لأنه جامعها. هي ناقصة. ما تساويش مقامه"

"وإذا تزوج إنسان عادي ابنة مزين، شيتحول دود؟"

"أيوه. يابني المزينين ناقصين على جميع الخلق"

"من شتزوج بناتهن، إذا كان الله خلقهن ناقصات؟"

" يتزوجن من مزينين مثلهن، أو يتزوجن الجن".⁽²⁾

يعرفون الأخدام مكانتهم في المجتمع، و كيف ينظرون الناس إليهم، وترى الباحثة أن هناك ثلاثة أسباب رئيسة جعلت هذه الفئة منبوذة ومعزولة عن المجتمع، أولها: بشرتهم السوداء وملامحهم الأفريقية التي قد تجعل البعض يرتعب منهم عند رؤيته لهم، ولكن هذه الأوصاف لا تكون وحدها السبب، بل باجتماعها مع الصفتين التاليتين، وهي: سلوكياتهم المشينة والغريبة؛ فكل شيء عندهم مباح ، لا يخجلون من شيء، فعيشتهم تشبه عيشة الحيوانات، هذه السلوكيات جعلت الآخرين يشمئزون منهم فلا يأكلون معهم، أو يختلطوا بهم، كذلك هيأتهم الرثة وعدم اهتمامهم بالنظافة؛ مما جعل البعض يطلق عليهم صفة "النجاسة"، والدليل على ذلك أنه يوجد أخدام يعيشون وسط الناس، في نفس الحي أو المنطقة، ويأخذون كل حقوقهم من التعليم والعمل،

⁽¹⁾ طعم أسود 45.

⁽²⁾ نفسه، ص14.

وذلك لأنهم يسيرون وفق عادات وتقاليد المجتمع الذي يعيشون فيه، مهتمين بنظافتهم وشكلهم وعلاقتهم بالآخرين. أما الذي ذكرهم الروائي في روايته فهي تلك الفئة التي تسكن في أطراف المدن أو القرى، ويسكنون العيش أو بيوت من الصفيح، المنبوذين والمعزولين عن الناس. لذا ظلت هذه الفئة منغلقة على نفسها، بل هي فرضت أيضاً على نفسها هذه العزلة، لحد أنهم قد يشعرون بالخوف والتوجس من وجود شخص غريب لا ينتمي لهم، فهم يعدونه وحشاً، وهذا ما لاحظناه عندما قديم "عبدالرحمن" مع "الدغلو" إلى عشش الأخدام ((إذ راح الأطفال يصرخون: "بوبوح.. بوبوح.. بوبوح.. بوبوح" ليخرج في لمح بصر، عدد من الرجال والنساء وبأيديهم عصي خشبية نحونا. وقد مضى وقت طويل حتى استطعنا أن نفهمهم أننا لسنا وحشين، أو بوبوح، كما عبر أطفالهم))⁽¹⁾.

إذا نظرنا إلى فكر ومعتقدات هذه الفئة (الأخدام) سنجد أنهم مؤمنين بما يقولونه ويقومون به، فقد تربوا وتُشئوا مع هذه السلوكيات وأفوها، لذا أصبحت هذه الفئة أكثر تصالحاً مع نفسها وأكثر تقبلاً لما هي فيه. ((أنّ طبقة الأخدام قد ارتضت لنفسها هذه الوضعية التي وجدت نفسها رغم عنها محصورة بداخلها، ولهذا أوجدت لنفسها حياتها الخاصة التي تمتلك دستوراً الخاص وقوانينها الخاصة))⁽²⁾.

إنّ ما يقومون به من أفعال مذمومة لا تنفي إنسانيتهم، وإنهم يشعرون مثل بقية الناس، يثوروا ويتأثرون بمجريات الأحداث، وما يطال بلادهم من ظلم وتعسف، فهناك من شارك منهم في الثورة مثل بهجة، فقد ((كانت إحدى القيادات الحزبية في عدن أيام سالمين، وأنها لم تجئ إلى شمال اليمن قبل سنة ونصف إلا لمهمة ثورية تتعلق بتنظيم الأخدام سراً إلى صفوف الثورة التي قادها سالمين))⁽³⁾، و(القيروي) الذي لم يقم أحد بكفالاته لإخراجه من السجن لأنه خادم، رغم أنه شخصية ثائرة شارك بالثورة، وله فكر سياسي. وأيضاً ما فعله سكان المحوى من مساعدة الثوار

⁽¹⁾ طعم أسود ص 35.

⁽²⁾ جمال جبران، المهمل والهامشي. <https://m.alraipress.com/news48> ..translate this page.

⁽³⁾ طعم أسود، ص 87

على الاختباء من مخبري الجهاز الأمني، فقد ((كانت العيش التي يزيد عددها عن الخمسين تساعد على الهرب والاختباء. كل مجموعة منها أخذت هيئة مختلفة إما دائرية أو مربعة أو مستقيمة.))⁽¹⁾. توافق الأخدام مع هؤلاء الثوار الذين ينتمون إلى الجبهة الوطنية الموالية للنظام الاشتراكي في جنوب اليمن، والناشطة سراً في المناطق الشمالية. حتى الحرتوش -الخادم العرييد الذي يهابه جميع سكان المحوى- كان له نشاط سياسي، فقد ((كانت آراؤه السياسية مؤثرة وواضحة، وهو يتنقل من عشة إلى أخرى، شارحاً رؤية الحزب الاشتراكي اليمني كان يرفض مع بهجة والغرنوط إطلاق صفة أمبو على المدينة، أو على كل من ليس بأسود. يظنون أن من مصلحة الأخدام العمل من أجل نشر فكرة التعايش لا التفرقة التي عانوا منها كثيراً.))⁽²⁾.

لم يكن عبدالرحمن "الأمبو" الوحيد المتعاطف مع الأخدام، فقد كان هناك من يهتم بهم ويرغب بالعيش معهم، بل والزواج منهم، فهناك من يستنكر التمييز العنصري مثل "عبدالله" ابن صاحب المطعم، والدكتور الذي تزوج جمعة الخادمة.

لقد كان عبدالله يهتم بالكتب والمقالات التي تتحدث عن الأخدام ((رأيت لديه دراسات ومقالات في عدد من المجالات عن الأخدام وأصولهم وتاريخهم وحياتهم طلبت منه مجلة فأعطاني واحدة اسمها "دراسات يمنية" قلبت صفحاتها، حتى وصلت إلى مقال عن الأخدام، كتبه عبده علي عثمان لاحظ عبدالله اهتمامي بهذا الموضوع، فأعطاني مجلة أخرى اسمها "الحكمة" وفتحها على صفحات الموضوع كتبه عبدالرحمن الحضرمي عن الأخدام، أيضاً، وناولني إياه.))⁽³⁾.

لم يهتم فقط ب حياة الأخدام، بل أنه أراد الزواج منهم يقول الراوي: ((حفلة عرس جمعة والدكتور ذكرتني، أيضاً، بعبدالله ابن صاحب المطعم؛ حدثني أكثر من مرة أنه يتمنى الزواج من خادمة " لو أستطيع ذلك.. أكسر التقاليد المقيتة". مع هذا، كان يتبع قوله بتذكيري، وربما، بتنبيه نفسه، أيضاً، أن أباه لن يكتفي بالغضب والاحتجاج، قد يقتله إذا ما أقدم وتزوج من خادمة سوداء.))⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ نفسه، ص99

⁽²⁾ طعم أسود، ص100

⁽³⁾ نفسه، ص 77-78.

⁽⁴⁾ نفسه، ص 114

إنّ زواج جمعة بالدكتور يعد عند الأخدام فخر وانتصار كبير لهم، إذ أعاد لهم بعض من كرامتهم، ورد اعتبارهم، وحققهم في العيش والتعايش مع الآخرين غير الأخدام، وهذا ما تمناه وحلم به الأخدام. لقد كان للدكتور مكانة كبيرة عندهم؛ لذا فهم لا يطلقون عليه صفة الأمبو، وخصوصاً عند جمعة فقد كان الدكتور ينظر إليها باحترام ولم يشعرها قط إنها خادمة، فقد ((كانت تعمل عنده منظفة، أو فراشة، في عيادته الخاصة، ثم علمها القراءة والكتابة وضرب الإبر، لتصبح مع الأيام أمينته على كل شيء.))⁽¹⁾ كما تحدثت عنه جمعة ((تتحدث عنه بشكل لافت، عن سلوكه تجاهها، عن احترامه لها، وعدم إشعارها بأنها خادمة ناقصة، كما يفعل الآخرون. آخر ما قالته أنّ الدكتور يطلبها، ويرجوها، كأى رجل يحب امرأة "أشتي أتزوجك.. وأرجو أن توافقي")⁽²⁾.

لقد امتزج اللون الأبيض بالأسود، يعبر عن ذلك مظاهر الفرح والسرور، والحوار الذي دار بين سرور والدكتور، عندما صعد سرور الدكة التي يتربع عليها العريس والعروس ((قال له الدكتور: هذا يوم أسود حلو.. مش كذا يا سرور؟ أجابه: يوم حلو.. أسود وأبيض.))⁽³⁾.

في ظل هذه الأجواء ظهر الوجه الآخر لسرور ((الوجه الذي لا يعرفه فيه إلا من اقترب منه أكثر. وجه متسامح يحب الحياة، ينسى عذاباته وأحقاقه أمام أي فعل إنساني ودود، قد يعذر مضطهديه في الذاكرة، كما يقول، لا يقبل مواصلة أسلافهم للفعل نفسه في الواقع المعاش. "يوم حلو.. أبيض وأسود" أعادها مبتهجاً.))⁽⁴⁾.

في ظل العدالة والمساواة وامتزاج الألوان وجعلهم في إطار واحد، يظهر المعدن الأصيل والوجه الطيب، وهذا ما بدا على سرور وبقية الأخدام، حتى رباش المتهم بالتحرش، يفسر تقربه من البنات البيض أنه ليس محاولة للتحرش، إنما هو محاولة للحب ((رباش كان مولهاً بالبنات البيض، إذا ما راهن في أي ظرف، تتوهج شعلة مغناطيسية فيه وتتجه نحوه. يظل يتأسف من تفسير سلوكه بأنه محاولة اغتصاب، بينما هو محاولة للحب، كما يقول.))⁽⁵⁾.

⁽¹⁾ طعم أسود، 112.

⁽²⁾ نفسه.

⁽³⁾ نفسه، ص 113-122

⁽⁴⁾ نفسه، ص 113

⁽⁵⁾ نفسه، ص 114

يتشوق الإنسان إلى الحرية، وأحياناً إلى التملص والانفلات من القيود التي قد تحصره في بوتقة العيب والتقاليد التي يجب التمسك بها، وعدم الانزياح عنها، وحياة الأخدام لا تعرف هذه القيود، فحياتهم طبيعية، وأكثر تلقائية، وهذه الصفات قد تجذب البعض الذين ينظرون لحياة الأخدام بأنها ليست انفلات، بل العيش بطبيعة أكثر أريحية، وهذا ما حدث مع عبدالرحمن أو الأمبو، إذ فضل العيش هو والدغلو في عشش الأخدام ، فقد شعر عندهم بالأمان أكثر من أي مكان آخر، حتى حين أشتد بهم الحنين إلى القرية والأهل، وخيم عليهم الحزن والخوف نتيجة الزحف العمراني للمحوى، وقلقهم عما سيحل بهم إذا ما حل العمران مكان عششهم، مع ذلك فهما يدركان إن مصيرهم مرتبط بمصير الأخدام ((السؤال عن مصيرنا، أنا والدغلو، بدأ يقلقنا، فلم نعد نعرف إلى أين سيمضي بنا الحال؟ مع هذا، لا نبوح بتخوفنا، فلن نمضي خارج سرب الأخدام الذي ارتضينا أن نكون جزءاً منه))⁽¹⁾. بل ما دفع الروائي نفسه للتوغل في مثل هذه البيئة التي تسمح لخياله بالشطوح بحرية وعبره إلى عوالم أكثر جرأة دون أن يتعرض للوم والمحاسبة.

التمييز العقائدي:

ليس من المستبعد أن تكون غالبية يهود اليمن من أصل عربي، فقد بدأت الديانة بالانتشار بين أوساط عرب اليمن في أواخر القرن الرابع الميلادي -أي قبل الإسلام- وبالتحديد في عهد الدولة الحميرية (115ق.م / 525 بعد الميلاد)، وقد توج ذلك الانتشار اعتناق الملك "ذو نواس" آخر الملوك الحميريين للديانة اليهودية، لتصبح بذلك دين الدولة الرسمي. وبعد سقوط الدولة الحميرية-بغزو الأحباش- ودخول الإسلام إلى اليمن تقلص عدد اليهود في اليمن وأصبحوا يشكلون أقلية دينية بين السكان المسلمين.⁽²⁾

وتعد الطائفة اليهودية اليمنية من أقدم طوائف العالم، فقد تضاربت الآراء حول وجودهم، فرواية الإخباريين تقول: أن أسعد الكامل نشر اليهودية في اليمن باستقدامه رجال دين يهود من

⁽¹⁾ طعم أسود، ص 111

⁽²⁾ ينظر: قائد نعمان الشرجبي، مرجع سابق، ص 246-247.

يثرب، ورواية تقول إنهم بقايا السبئيين الذين اعتنقوا اليهودية مع الملكة بلقيس، وهو مجرد تخمين. تعود بعض الأساطير للملك سليمان وأنه أرسل تجار يهود إلى اليمن لشراء ذهب وفضة لبناء هيكل أورشليم.⁽¹⁾

ومؤخرًا تقلص عدد اليهود في اليمن نتيجة هجرة الغالبة الساحقة منهم إلى فلسطين بعد إعلان قيام دولة إسرائيل. أما الأسباب التي دفعتهم للهجرة فهي أسباب دينية، والهروب من الجفاف وسوء المعاملة إلا أن السبب الرئيسي هو اعتقادهم الظاهر بظهور المسيح.⁽²⁾

أما علاقة اليهود والسكان اليمنيين الأصليين فقد اختلف بعض الكتاب والمؤرخين في الحكم على نوع أو طبيعة العلاقة التي كانت سائدة بينهم، فبعضهم يصفها بأنها كانت سيئة وأن اليهود كانوا يلقون التعصب والإذلال، والبعض الآخر يقولون بأنهم كانوا مرتاحين من وضعهم، ويتعاملون معهم حسب العادات المحلية.⁽³⁾

وإذا ما اطلعنا إلى الكثير من الكتب والدراسات والأعمال الأدبية، سنجد أن يهود اليمن كانوا عرضة لنوع من الاضطهادات فيما يخص حياتهم الاجتماعية، ولأسباب تتعلق بالممارسات الدينية في المقام الأول، ومسألة اضطهاد الطوائف الدينية في اليمن كان من نتائج الأحقاد والصراعات الدينية والمذهبية التي مزقت اليمن إلى دويلات عديدة متناحرة، والاضطهاد لم يكن موجهاً فقط ضد الأقلية اليهودية، بل تعرضت له أيضاً الطوائف الإسلامية ذاتها كما حدث لطائفتي الشوافع والاسماعيليين أثناء عهد أسرة حميد الدين.⁽⁴⁾

ولكي تتعايش هذه الفئة الأقلية من اليهود مع المجتمع اليمني المسلم، وتستطيع ممارسة حياتهم الدينية والاجتماعية دون التدخل في فرض عقيدة الإسلام عليهم، كان لابد من وضع أطر محددة وقوانين فرضت عليهم لا يجب تجاوزها. ولكي يستطيع أيضاً التمييز بينهم وبين السكان منها:

⁽¹⁾ ينظر: بيكيدا

⁽²⁾ الشرجبي، مرجع سابق، ص248.

⁽³⁾ الشرجبي، ص248.

⁽⁴⁾ نفسه، ص249

_ أن يطلقوا الزنانير أي السوالف لتتدلى من على أصداعهم بحيث تكون ظاهرة للعيان، وارتداء طاقية سوداء.

_ مخاطبة اليهودي لأي فرد من أفراد المجتمع بكلمة يا سيدي ماعدا الأخدام.
_ عدم حمل السلاح، أو ركوب الخيل. وإذا مر يهودي من جانب مسلم وهو راكب الحمار على اليهودي أن ينزل من على الحمار.

تناول الكاتب علي المقري قضية اليهود وطبيعة حياتهم وعلاقتهم بمسلمين اليمن، واختزلها في روايته "اليهودي الحالي"، يقول سالم اليهودي لفاطمة بعد أن طلبت منه أن يركب الحمار: ((نحن اليهود، أيضاً لا يسمح لنا بركوب الخيل، والحمار نركبه بشرط ألا نمر أثناء ذلك من أمام مسلم يكون جالساً. بائع الحمار لم يسلمني إياه ليلة أمس إلا بعد أن ردد كثيراً هذا الشرط، وكأنه أردني أن أحفظه إلى الأبد" (...)) شعرت أنني في حلم. لم أتخيل في يوم ما ظهوري على مركوب أمام مسلم، فكيف أصدق أنني أمضي أمامه راكباً بوجوده ورغبته. ((¹)).

وإذا ما تمعناً في تاريخ اليهود في اليمن، سنجد أنهم عاشوا معزولين نوعاً ما، كوّنوا لهم مجتمعهم الخاص بهم، له عاداته وطقوسه الخاصة لا يسمح بالخروج عنها أو تجاوزها، من أهمها عدم الاختلاط بالمسلمين إلا ما يخص العمل فقط.

ومما لا يختلف عليه المسلمون واليهود هو مسألة الزواج بينهم؛ ففي عرف اليهود لا يجوز أن يتزوج يهودي من مسلمة أو يهودية من مسلم، وفي دين الإسلام لا يجوز أن تتزوج مسلمة من يهودي، لكن يجوز أن يتزوج مسلم من يهودية. ورغم كونهم يُعدّون من الطبقة المتدنية أو المنبوذة، إلا أنّهم أعلى مرتبة من الأخدام، ورغم أنّ الأخدام مسلمون إلا أنّ إسلامهم لا يشفع لهم عند المجتمع، إذ يرفض المجتمع أن يتزوج المسلم من خادمة، أو خادم من مسلمة، كما أنه قد يتشارك المسلم مع اليهودي في الولائم بعكس الأخدام الذي يشمنزوا من مشاركته الطعام،⁽²⁾.

¹ (اليهودي الحالي، ص 83.

² ينظر: الشرجبي، مرجع سابق، ص 252.

إنّ رواية "اليهودي الحالي" من أهم الروايات التي تتحدث عن حياة اليهود وعلاقتهم بالمسلمين، كونها تجسد صراعاً إيديولوجياً بين ديانتين مختلفتين تتواجدان في محيط واحد، فقد تعايش اليهود مع المسلمين وكونوا لهم عالمهم الخاص، مجتمع صغير ضمن المجتمع الكبير الذي ينتمون إليه وهو المجتمع المسلم الذي يشكل الإطار العام بنظمه وقوانينه، إلاّ إننا نلاحظ حقد اليهود على المسلمين، فالكره الذي يضرّمونه للمسلمين ناتج من الذل والهوان الذي يشعرون به، فهم يعرفون قدرهم ومكانتهم في المجتمع، وأنّ شأنهم لن يعلوا على المسلمين، فهم يمثلون الأقلية، والمسلمون هم الأغلبية والسكان الأصل، وما يقوم به اليهود من أعمال أكثره لخدمة المسلمين؛ لذا كان خضوعهم هو للمحافظة على لقمة عيشهم، كما يخافون من تكالب المسلمين عليهم، لذا ما كان من اليهود إلاّ مجارة المسلمين والخضوع لهم، يقول أبو سالم اليهودي اعترافاً بذلك (("سأقول لك الحقيقة.. أنتم مكانتكم عالية وكبيرة عندنا، وأبوكم على رأسنا وعيوننا، والمسلمون كلهم سادتنا، ولا نقول لهم لا، أبداً..". لم أدر ماذا قال بعدها. كلماتها القليلة هذه، أدارت رأسي في الزمن، وأيقظت ذهني، لأكتشف المهانة صرت، منذ تلك اللحظة، أسمعها في أصوات اليهود، ألاحظها في خطواتهم وبين أصابعهم.))⁽¹⁾.

لم يشعروهم بالذل والهوان فقط، بل بالغرابة وأنهم في بلد غير بلدهم بل ليس لهم بلد تحويهم. يذكر سالم اليهودي، عندما كان في السوق مع والده سأله حسين الذي كان يلعب أمام دكان والده: (("من أين أنتم؟"، سألني حسين، ونحن نلعب أمام دكان أبيه، المجاور لمحل أبي. قلت له: " من ريدة.. من هذه البلاد". صاح: " مش حق أبوك.. هذي بلادنا.. أنت يهودي كافر". لم أعرف ماذا تعني كلمة كافر. أعرف، فقط، أنني يهودي. الأطفال الذين ليسوا من حيننا، جميعهم ينادونني يا يهودي. ظننت أنني يهودي نسبة إلى اسم الحي، ليس إلا. قبل يومين من سماع هذه الكلمات، مازحني عجوزٌ كبير، فنفتت شعرة بيضاء من لحيته. صرخ فيّ وقرص أذني، وهو يقول: شوف على يهودي.. ملعون.))⁽²⁾.

⁽¹⁾ اليهودي الحالي، ص15

⁽²⁾ نفسه، ص23

كان اليهود يضمرون بغضاً شديداً للمسلمين وما يصبرهم على كتم هذا الكره هو إيمانهم وبقينهم الشديد بوجود المسيح المنقذ الذي سيحول الملك إلى اليهود، يتحدث سالم عن أخيه هزاع الذي استأثرت به الحمى فكان يهذي بكلمات وجمل غير مرتبة تظهر عشقه وحبه للفاتنة المليحة ساحرة العقل والروح "أورشليم" ((يؤكد لي مجيء يوم يظهر فيه المسيح المنتظر الذي سيحول الملك إلى اليهود. بغضب كان يقول: "في ذلك اليوم، سأنتقم من كل المسلمين، حتى الذين لم يفعلوا بي شيئاً، يكفي أنهم صمتوا، سأسقط الأجنة قبل أن يولدوا، وإذا حدث، فلن أدهم يعيشون حتى يصبحوا أعداء أقوياء، هم أعداء أصلاً، قبل أن يولدوا، قبل أن يتكونوا حتى".))⁽¹⁾

يقابل هذا الكره والحق من قبل اليهود، تكبر وترفع المسلمين عليهم والتطاول عليهم بالكلام من البعض، كان صالح المؤذن الشيخ ذو اللحية البيضاء قبل أن يردد تسابيح قبل صلاة الجمعة ((متى ستخرجون من بلاد العرب؟" هي أول عبارة سمعتها من المؤذن، ويقصد بها اليهود. بعد أيام قالها بكلمات أخرى: "متى سترحلون إلى بلادكم؟". بدا على أبي الضيق، قال: "أين نروح.. أين بلادنا؟". صمت المؤذن لحظة، كمن يبحث عن إجابة: "أنتم تقولون إن بلادكم بيت المقدس.. روحوا إليها". "ها...." تنهد أبي. ليضيف المؤذن: "أو روحوا حتى إلى جهنم".))⁽²⁾

ظلت هذه المواجهات بين المسلمين واليهود تتكرر من وقت لآخر؛ فذات يوم كرر صالح المؤذن كلامه بوجوب رحيل اليهود من بلاده، لم يكن بوسع أسعد إلا أن يتلفت إليه بصمت ((التفت إليه أسعد بغضب بدون أن يتكلم التفاتة بدت واضحة المعنى لدى المؤذن، فرفع صوته: "أيوه ارحلوا من بلادنا.. وإلا سنرمي بكم في البحر" ظل يحرك يديه وعينيه بانفعال: "البحر، ما بش غيره.. سنرمي بكم في البحر". كان أسعد قد انفعل، أيضاً: "للمه، ترموا بنا في البحر.. سنسير بلادنا أورشليم؟". "أورشليم.. هه؟ القدس مش حق أبوكم، هي حق المسلمين" ردّ بغضب، متجاوزاً ما قاله في المرة السابقة بأن على اليهود الرحيل إلى القدس، أو إلى الجحيم.))⁽³⁾

لقد كانت أورشليم حلم اليهود الذين يوقنون بأنها بلدهم الأصل، وأنهم لا بد من العودة إليها في يوم ما.

⁽¹⁾ نفسه، ص22.

⁽²⁾ اليهودي الحالي، ص35.

⁽³⁾ نفسه، ص48.

حاول أسعد أن يتجنب الفتنة التي قد تحدث من جراء هذه المشاهدات بينهم فخرج أسعد من صمته محاولاً إقناع صالح المؤذن أنّ أورشليم أو القدس بلدهم، فقال: ((من أين جاء اليهود، ألم يخلقهم الله.. أنت سيد العارفين، وتعرف حكايات اليهود مع يعقوب وموسى وهارون ويسوع، وما جرى لهم في مصر، مع ملكي آشور وبابل و..))⁽¹⁾. ، لكن ظل صالح المؤذن يهاجم أسعد بكلامه، طالت المناورة بين صالح المؤذن وأسعد اليهودي، وكلاً منهم يريد إثبات أحقيته في القدس.

وفي تلك الأثناء قام سالم اليهودي بترتيل القرآن الكريم محاولاً تهدئة الطرفين ((وإذ قال موسى لقومه، يا قومي اذكروا نعمة الله عليكم قال: فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين)) سورة المائدة. بعد الصمت الذي دام برهةً إذ دُهل الجميع من قراءة سالم للقرآن الكريم وهو يهودي، وبذلك الصوت العذب الذي لفت انتباههم. لقد جاءت هذه الآيات كمنقذ ودليل استخدمه أسعد لإثبات حقهم في القدس ((قال أسعد: "افهموا القرآن، حين يقول إن الله كتب الأرض المقدسة لقوم موسى، وأنه لم يحرمها عليهم سوى أربعين سنة يتيهون فيها على الأرض عقاباً لهم لعدم مصارعتهم القوم الجبارين الذين كانوا فيها")⁽²⁾، يرد عليه صالح المؤذن: ((هذا تفسيرك اللعين للقرآن"، أجاب المؤذن....."اسمع هداك الله، قوله تعالى: "فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض"، فقد قيل "أربعين سنة" ظرف لقوله "يتيهون في الأرض" أي يتيهون هذا المقدار، فيكون التحريم مطلقاً. والمؤقت: هو التيه..))⁽³⁾. لم يقتنع أسعد بتفسير صالح المؤذن، فهو موقن أنّ لليهود وطن لا بد أن يعودوا إليه، أورشليم بلدهم التي أخرجوا منها وسيعودون إليها ((اليهود لن يسكنوا أورشليم فقط، بل سيسيطرون على كل الدنيا. عندما يظهر المسيح المخلص سنحكم في أورشليم))⁽⁴⁾. رغم ترفع سالم عن حديث أسعد وصالح المؤذن إلا أنه ظل يتساءل ((أليس لليهود وطن غير البحر، يغرقون فيه؟" بقيت أسأل نفسي أنا أستعيد كلام المؤذن..))⁽⁵⁾. حتى حاييم السكر الذي لا يبالي بمن حوله أو بما يقولونه فقد كان جلّ اهتمامه هو الأغاني التي يغنيها فيجمع بها الناس

⁽¹⁾ نفسه، ص49.

⁽²⁾ اليهودي الحالي، ص50.

⁽³⁾ نفسه، ص52.

⁽⁴⁾ نفسه.

⁽⁵⁾ نفسه.

حوله، وزجاجة الخمر التي يمسكها بيده، ظل يتحدث عن أورشليم وتاريخها، يقول سالم اليهودي: ((في إحدى الليالي الربيعية، حدثني حاييم عن نشوء أورشليم وتاريخها، وتبعتها في أزمنة مختلفة لحكم آشور وبابل وفارس وروما، وعن تقديس عدد من الشعوب والديانات لبعض الأماكن فيها، ومنها المسيحية، ونظرة كل من اليهود والمسلمين إليها))⁽¹⁾.

يبدو أن هذه مسألة النزاع على الوطن والمقصود بها القدس أو أورشليم كما يسميها اليهود ستظل عالقة بين اليهود والمسلمين إلى أمدٍ بعيد.

كان من ضمن القوانين أو الحدود التي فُرضت على اليهود هي: ((أنه لم يكن يسمح لمنازلمهم بأن ترتفع بأكثر من طابقين))⁽²⁾. يقول أسعد اليهودي بعد أن تهدم بيته بسبب نزول الأمطار: ((نحن لا نستطيع بناء بيوت على أساس متين، لأنهم لا يسمحون لنا بأن نبني أكثر من طابق أو طابقين، على الأكثر، وعلى شرط، أيضاً، ألا تنافس بيوتهم أو تفوقها.. فماذا نعمل؟ بيوتنا إذا لم يقتلعها السيل من أسسها السفلي يهدمها المطر، وتعصف بها الرياح من الأعلى" لم يُتِح لي الفرصة لأستوضحه. أضاف وهو يمضي: "هذه ليست بيوتنا حتى نهتم بها. إنها بيوت الريح...))⁽³⁾. ربما أيضاً لهذا السبب كانت بيوتهم معزولة عن الناس، إضافةً إلى جانب كونهم فئة لها معتقداتها وديانها الخاصة بها لا يجب أن تخالط وتمتزج مع المجتمع المسلم.

ورغم أن مساكنهم كانت معزولة إلا أنهم كانوا يجتمعون في سوق واحد مع المسلمين، فقد كانت محلاتهم متقاربة ومتقابلة، يقول سالم: ((في الأسبوع نفسه تعرفت، أكثر على جيراننا في العمل وأقربهم قاسم المشهور بالزناط...سمعتة يتباهى بما لديه من أقمشة صوفية وحريرية مستوردة من الهند واسطنبول وفارس واليابان، وأنه لا يبيع سوى العسل الدعوني الأصيل.... جارنا الثاني هو نفسه جارنا في الحي. في انهماكه بالعمل كان يبدو لي وكأن لا أحد غيره في ريده يختص بصناعة وإصلاح الأحذية. يداه مشغولتان دائماً بحذاء. لا يرفع رأسه ويرى بعيداً إلا إذا سمع أحدهم يناديه: يا أسعد اليهودي. مع أنهم في الحي ينادونه أسعد، فقط.))⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ نفسه، ص53.

⁽²⁾ الشرجبي، مرجع سابق، ص250.

⁽³⁾ اليهودي الحالي، ص58.

⁽⁴⁾ نفسه، ص34.

ما نلاحظه أن اليهود يمتنون المهن التي قد يترفع عنها المسلمون، بل وربما قد يحتقروها، مثل مهنة أسعد اليهودي الذي يقوم بإصلاح الأحذية، أو الغناء في الأعراس والمناسبات التي قد يستنكرها بعض اليهود ولا سيما إذا ما امتنها شخص عرييد مثل حاييم الذي كان عندما يغني يلتف حوله الجميع لسماع أغانيه بصوته العذب، لكن سرعان ما يتفرقوا إذا ما رأوه يُخرج قربة النبيذ. ((ربما لم يعجب أبي نموذج المغني السكير الذي أمامه، لكنه لا يريد قول ذلك))⁽¹⁾. ولا ننسى صناعة الخمر، هذه الصناعة التي توارثها اليهود أباً عن جد والتي يحرمها الدين الإسلامي.

إضافةً إلى هذه المهن المحترمة، كانت هناك مهن محترمة وحرف كثيرة منها صناعة القمرات ((من خلال قوالب خشبية وحجرية وقصدير مجزأة ومشكلة على هيئة أقمار وأهلة وشموس وعيون ونجمات سداسية مثل نجمة داوود اليهودية تماماً))⁽²⁾.

يقول سالم اليهودي: ((تعلمت، أيضاً، الحفر والنجارة والزخرفة والنقش على جدران البيوت المطلية بالجص، وعلى ألواح الأبواب والشبابيك))⁽³⁾.

كان أكثر ما يهتم به اليهود هو لقمة العيش، وتوفير الأمان لهم ولأسرهم حتى الجانب الديني لم يكن يهتمون به بقدر حلمهم بالخلاص على يد المسيح المنتظر، إلا أنهم عند سماعهم خبر تلقي سالم اليهودي دروس في اللغة العربية وآدابها ومعارفها؛ بدأوا يخافون على لغتهم وعقيدتهم، فأخذوا يتلقون دروس تعليم اللغة العبرية ((الأثر الذي أحدثته دروس بيت المفتي في اليهود في توجيههم لتعليم أبنائهم كان واضحاً. صاروا من الكثرة بحيث لم تستوعب ساحة بيت الحاخام))⁽⁴⁾.

لقد كانت اليهود ترسل أبناءها الصغار في سن مبكر لتلقي العلوم الدينية من يوم الأحد إلى يوم الخميس، من طلوع الشمس حتى مغيبها، ويكتفون حتى الظهر في يوم الجمعة، وتتعلم النساء الأمور المتعلقة بالطهارة المنزلية وأصول ذبح الحيوانات، فقد سُمح لليهود ممارسة شعائرهم الدينية طالما يدفعون الجزية، وُعوملوا معاملة أهل الذمة⁽⁵⁾. هذا فيما يتعلق بالجانب الديني، أما فيما يخص الحياة الاجتماعية فهم يتشابهون مع المسلمين في العادات والتقاليد.

⁽¹⁾ نفسه، ص 45.

⁽²⁾ نفسه، ص 33.

⁽³⁾ اليهودي الحالي، ص 33.

⁽⁴⁾ نفسه، ص 17.

⁽⁵⁾ ينظر: ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، <https://ar.wikipedia.org>

لقد كان اليهودي يُعامل معاملة الناقص، فهو من وجهة نظرهم كافر، يقول سالم اليهودي عندما ذهب مع علي ابن المؤذن: ((تساءلت وأنا أستعيد الكلام المُذلل الذي سمعته مئات المرات، فلا يُنطق اسم يهودي إلا بعد الدعاء للمخاطب بالقول: "أعزكم الله" وكأنه يسمع اسم إنسان ناقص، أو شيء غير عزيز أو كريم))⁽¹⁾.

ظلت الأمور متأزمة بين اليهود والمسلمين، والذي زادها حدة وتعقيداً عدة حوادث جرت في تلك الأثناء منها: حادثة الجرار، فمن المعروف أن المسلمين قد سمحوا لليهود بصنع وبيع الخمر لكن فيما بينهم فلا يجوز لهم بيعها للمسلمين، ((أكد أسعد: أنهم ملتزمون بالقانون الذي يحرم عليهم بيع الخمر لغير أتباع ملتهم. لكنه قال: "نضطر أحياناً إلى ذلك، فبعض المسلمين يحيئون ليشترؤا منّا الخمر أو نهبه مجاناً. فإذا رفضنا إعطاءهم يقومون بتخريب ممتلكاتنا،..."))⁽²⁾. تأتي بعدها أخبار مجيء ثلاث يهوديات إلى حي اليهود ((قالوا إنهن جنن بعد أن هددهن فقهاء إسلاميون بالقتل إذا لم يرحلن من صنعاء. اتهموهن بإفساد أولاد المسلمين، وبناتهن، أيضاً))⁽³⁾. الأمر الذي أدى إلى شيوع الفتنة بين شباب المسلمين، ونشوب توتر بين شباب الملتين أسفرت عن معارك نشبت بين شباب المسلمين أنفسهم فالكل يرغب بالانفراد بهن دون الآخر. وفي الأخير حُسم الأمر بإعدامهن رمياً بالحجارة. وما كان من حادثة انتحار نشوة بنت أسعد اليهودي وقاسم بن صالح المؤذن، اللذين أحبّا بعضهما، ونتيجة معرفتهما باستحالة زواجهما قررا الانتحار. وبعدها هروب أختها صبا مع علي ابن صالح المؤذن إلى صنعاء وزواجهما، إلا شرارة أضيفت إلى النار المشتعلة بين أبناء الملتين. وفي ظل التأزم والتفرقة بينهم نلحظ لأول مرة توحد أسعد اليهودي مع صالح المؤذن، فقد جمع بينهم الشعور بالخزي ((لقد وحدهما الشعور بالخزي أخيراً، كما لم يوجِد أي شيء غيره من قبل بين يهودي ومسلم في ريدة. مُضياً بالشعور نفسه، إلى فعل غير مسبوق، فقتلا من قتلاه دون اعتبار

⁽¹⁾ اليهودي الحالي، ص105.

⁽²⁾ نفسه، 70-71.

⁽³⁾ اليهودي الحالي، 72.

لأصله أو دينه أو عمره. ربما لهذا لم تتم معاقبتهما كقاتلين.⁽¹⁾ لقد قتل "شمعون" أشهر ساحر عند اليهود والمسلمين الذي تجاوز عمره الخامسة والثمانين، كانا يعتقدان بأنه وراء انتحار نشوة وقاسم. يقول سالم اليهودي: ((كنت أعتقد أن الحب وشرب الخمر والنيذ من بين ما يجمع بعض اليهود مع بعض المسلمين، لكن اعتقادي هذا، وقد أضفت إليه إمكانية توحيد هؤلاء في الشعور بالخزي، والقتل أيضًا⁽²⁾). لكن كان اجتماعهم اجتماعًا مؤقتًا، فسرعان ما عادت الكراهية والحقد أكثر من السابق، (فبعد أسبوع فقط من مقتل شمعون، عاد الخصمان إلى المواجهة من جديد)⁽³⁾.

ضاق الحال باليهود نتيجة ما حدث لهم من أحداث كسرت شوكتهم، فكان سماع أخبار بظهور المسيح المخلص المذكور في كتبهم بمثابة سفينة نجاة كما كانوا يظنون، فقد ظل أمل اليهود في الغلبة والنصر ملازمًا لهم مؤمنين به — ((وصلت إليهم أخبار عن ظهور المسيح المخلص المذكور في الكتب القديمة، فبدت فرحتهم عارمة كأن لم يكن لهم من حلم سوى انتظاره.⁽⁴⁾ فقاموا جميعهم مستبشرين ومهللين ظانين بأن الغلبة ستكون لهم والملك سيصير لهم وحدهم وسيستأثرون به دون المسلمين ((تنادوا مبشرين به، في جهات اليمن الأعلى والأسفل، في الشمال والجنوب. ظنوا ذلك تحققًا لما تنبأت به تلك الكتب: إن الغلبة ستكون لليهود، وإن الملك سيصير لهم وحدهم.⁽⁵⁾ هنا تظهر أحقاد اليهود بشكل فعلي وأكثر جرأة من خلال تلفظهم ومواجهتهم للمسلمين ((ترددت أخبار عن أدهم، قال إنهم سيفرضون على المسلمين دفع الجزية لليهود، بمقدار ضعف ما كانوا يدفعونه لهم. وتجادل بائع يهودي مع مسلم على قيمة فأس من حديد، فقال البائع: "أعطني فيه ما شئت، فهو اليوم معك، وغدًا معي، أضرب به رأسك" ⁽⁶⁾.

أخذ اليهود بترتيب حياتهم على هذا الأساس، فبدأ البعض يبيعون بيوتهم وأملاكهم بأرخص الأثمان متوجهين إلى أورشليم حلمهم المنتظر.

(1) نفسه، ص 69-70

(2) نفسه، ص 70

(3) نفسه.

(4) اليهودي الحالي، ص 117

(5) نفسه.

(6) نفسه، ص 118

خرق اليهود الاتفاقيات وشروط الذمة التي كانت بينهم وبين المسلمين أو بالأصح الالتزامات التي وضعها المسلمون لهم؛ فثار المسلمون عليهم وأخذ بعضهم بنهب بيوت اليهود والاستيلاء على أموالهم وممتلكاتهم، إلا أن اليهود لم تخف عزيبتهم، بل زادوا إصراراً، فقرروا أن يبدؤوا بنقل مراسيم الحكم من المسلمين إليهم ((يومها اجتمع عدد منهم في صنعاء، في يوم سبت، ليختاروا ولياً يتقدمهم وينتزع لهم الحكم، فانفقوا على شخص يدعونه سليمان الأقطع أو سليمان الجمل. كان سليمان هذا، أو النوش، حسب ما يدعونه، أيضاً، هو أحد العارفين بالشريعة اليهودية ... ألبسوه أغلى الثياب المماثلة لزي الملوك، وطيبوه وزينوه. أخذوا في تعظيمه وتبجيله والتبرك به، ... شيعه أكثر اليهود، وزفوه كالعريس إلى القصر، إلا أنهم كلما عبروا شارعاً من شوارع المدينة، رجع بعضهم إلى الكنيسة، فلم يصل منهم إلى باب قصر صنعاء غير اثنين))⁽¹⁾. لكن سرعان ما تخلّا عنه المرافقان عند وصولها بهو القصر ورؤيتهما الأمير علي بن المؤيد. تقدم الأقطع وبكل ثقة طلب من الأمير أن يترك مقامه، رفع الأمير قضيته إلى أمير المؤمنين المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم الذي سرعان ما أمر بقتله.

تتابعت سلسلة العقوبات على اليهود، فصدّرت أموالهم وأطيانهم، ثم صدر قرار بزيادة الضرائب بمقدار عشرين مرة، خُفّفت بعد ثلاث سنوات بعد أن مات بعضهم بالجوع، وأسلم بعضهم من خوفاً من الهلاك، وفي نهاية الأمر تم إجلاء اليهود وهدم كنائسهم.

وكانت هذه نهاية الصراع بين اليهود والمسلمين، نهاية تحطمت فيها أحلام اليهود بل نهاية مأساوية تحطمت فيها حياتهم، لم يعد لديهم مأوى أو مكان يرحلون إليه، حتى الإمام المهدي حين أمر بإجلائهم لم يكن يعرف المكان الذي يتوجهون إليه. ((لم يبكوا، طبعاً، فقرار الإجماع لم يتح لهم فسحة لذلك. وبدا أن وجهتهم ستمضي عكس أحلامهم، إلى هناك، إلى حيث لا يدرون))⁽²⁾.

تروي هذه الأحداث حال اليهود في شمال اليمن، أما إذا نظرنا إلى حال اليهود في جنوب اليمن، وبالذات مدينة "عدن" سنلاحظ اختلافاً كبيراً، فعدن كانت مدينة مفتوحة لكافة الأديان

⁽¹⁾ نفسه، ص122

⁽²⁾ اليهودي الحالي، ص121

والطوائف، يمارس فيها اليهود أو غيرهم طقوسهم وشعائرهم الدينية بكل حرية دون اعتراض، فلم يجد اليهود في عدن التفرقة أو التحقير والتقليل من شأنهم. ((يوم زيارة الولي الشبزي بدأ ملفتاً. فمنذ الفجر وصل يهود كثر بملابس بيضاء من عدد من الحافات والمناطق البعيد. ليتبعهم عدد من أصدقاء عم شمعون من أتباع الديانات الأخرى، أو ممن ليس له دين. كان عم شمعون قد دهن بيته وجدار دكانه بالأبيض واستيقظ مبكراً ليستقبل القادمين من خارج عدن أمام منزله، حيث تنطلق المسيرة في اتجاه مقبرة اليهود))⁽¹⁾.

ظل حال اليهود مستقراً حتى جاء قرار الأمم المتحدة ببناء دولة اليهود في فلسطين، فكان هذا الخبر بمثابة الشرارة التي أحرقت كل ما حولها وانقلب حال اليهود في عدن إلى النقيض. فأصبح وضعهم مشابه لليهود الشمال مع فارق أن يهود عدن وجدوا من يساعدهم في الوصول لوجهتهم، كون عدن تخضع لبريطانيا وبالتالي ستوفر لهم المكان الذي سيتجمعون فيه وستحميهم، وتوفر لهم متطلباتهم، فقد كانوا يتجمعون في معسكر موجود بحاشد وآخر بالحسوة فتتجمع فيه اليهود ((من اليمن وبعض المناطق العربية المجاورة، قَدِموا إلى المسكر بهدف الرحيل (...)) قالوا أنهم سيمرون عبر أثيوبيا واليوم قالوا عبر قبرص. بقي يتذكر الطرق التي عبرها آلاف من القادمين إلى معسكري حاشد والحسوة في عدن))⁽²⁾، ومن ثم يتجهزون لنقلهم لإسرائيل تلبية أيضاً لنداء عيطموس. يقول السارد: ((هل تحققت أحلامهم بظهور عيطموس؟" سألت نفسي بصمت، وأنا أسمع الأغنية. بدا لي وكأن جميع يهود عدن والقرى والمناطق العربية المجاورة، قد تجمعوا في معسكري حاشد والحسوة لتلبية نداء عيطموس، وجَّهتُ السؤال إلى العارف. "الذين يقولون إن أحلامهم تتحقق هم أصلاً بلا أحلام" أجاب "الوطن حلم غير محقق ولو في الحلم، حتى في الأحلام لا يتحقق الوطن" (...)) "اليهود عاشوا في عدن كعدنيين، كان اليمن وطناً لهم، لكنهم ظلوا يحلمون بوطن آخر. هناك من أراد أن يحقق لهم حلمهم الذي توارثوه ورَدَدوه بالصلوات والقصائد والأغاني))⁽³⁾.

¹ بخور عدني، ص 167.

² بخور عدني، ص 209.

³ نفسه، ص 208.

رغم ذلك فقد كانت عدن المدينة الأكثر أماناً لليهود، فبعد انتهاء الفوضى في عدن جراء إقامة دولة اليهود في فلسطين، عاد الهدوء وعم السلام من جديد في عدن، فإلى جانب طبيعة سكان عدن المسالمين وتقبلهم للآخر سواء كان منهم أو من غير ملتهم أو جنسهم، فقد كان وجود الاستعمار البريطاني بمثابة أمان وحماية لهم، عكس وضع إخوانهم اليهود في الشمال. إضافةً إلى أنَّ عدن مدينة مفتوحة يجتمع فيها المسلم واليهودي والمسيحي وأصحاب ديانات أخرى، والمسؤولون في الدولة هم من يحكموها عكس المناطق الشمالية التي يحكمها النظام القبلي الذي يُقسم فيه المجتمع إلى طبقات: قبيلي، ورعوي، ودواشين.

الخاتمة:

رغم القوانين التي أنصفت المهمشين "الأخدام" ومساواتهم ببقية أبناء المجتمع، إلا أن وضعهم لم يتغير، فقد كان أبناء المجتمع أنفسهم ينظرون لهم نظرة دونية، ولم يتم تقبلهم، أو الاعتراف بهم فمكانتهم تُقاس بنظرة المجتمع لهم وليس حسب القوانين الحكومية التي تحمي حقوقهم. فالمجتمع نفسه كان يعاني من العنصرية والتمييز ليس فقط باللون أو العرق، بل شمل العقيدة، والجنس، وهذا ما ركز عليه الروائي علي المقري، الذي اعتمدت رواياته على الضدية، مثل: رجل امرأة، أبيض أسود، مسلم يهودي، وقبيلي وخدام. وهذه الضدية هي من أحدثت الصراعات وعملت على وجود طبقات متفاوتة، وعنصرية مزمنة في المجتمع الواحد، وقد خلق هذا الاختلاف والضدية أرض خصبة للصراعات، استغلها المبدعون من الرواة في شحن رواياتهم بأحداث مثيرة للجدل، وإعطاء مساحة واسعة للإبداع. ونتيجة وجود صراع بين هذه الفئات غير المتكافئة ظلت الفئة القوية هي المسيطرة والغالبة؛ لذا فقد وجدت فجوة أو هوة لم تستطع الفئة المغلوبة ردمها، مما جعلها تعاني من صراع نفسي، وعدم تصالح مع نفسها، لذا فقد عاشت في صراع دائم فرض عليها لم يكن لها فيه خيار.

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

- علي المقرري، بخور عدني، دار الساقى بيروت، ط1، 1014م.
- علي المقرري، طعم أسود رائحة سوداء، دار الساقى بيروت، ط2، 2011م.
- علي المقرري، اليهودي الحالي، دار الساقى بيروت، ط2، 2011م.

المراجع:

- أفرام أيزاك، اليهودية والإسلام في اليمن، مع صور ليهود اليمن، مركز الجزيرة للدراسات، مايو 2014/12م، تاريخ الدخول 3 يونيو/2024م الثلاثاء.
- أصيل سارية، صراع الطبقات في اليمن تمييز متوارث على أساس اللون والنسب والمهنة، رصيف، 22 الخميس 9 إبريل 2018، تاريخ الدخول 2024/5/14م الثلاثاء، Net/ > raseef 22 . article/145059>
- الجزيرة نت، يهود اليمن والتعايش اليهودي العربي، <https: /www Aljazeera net>
- 2004/12/22، تاريخ الدخول 3 يونيو الاثنين 2024م.
- جمال جبران، المهمل والهامشي؛ .translate this page. > news48 alraipress com> https://m
- جمال الجهلاني، صورة المرأة في الرواية اليمنية، دراسة سوسولوجية نظرية، رسالة دكتوراه، 2017م.
- قائد نعمان الشرجبي، الشرائح الاجتماعية التقليدية في المجتمع اليمني، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1986م.
- سلوى حامد، "وظيفة الدوشان" باليمن في "ثقافات حول العالم"، الهيئة الوطنية للإعلام، 2023/12/21،
- 1 (قاموس معاجم، <https://www maajim com>
- د. محمد أحمد عبدالرحمن عنب، الدوشان وفن الدوشنة، التراث والموروث الشعبي اليمني، 4 الرافد مجلة الكترونية ثقافية شاملة، دائرة الثقافة حكومة الشارقة،

(1) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1994. مادة(وجد).

- 2022/5/، تاريخ الدخول 2024/6/8م.
- معجم الرياض للغة العربية، [https /dictionary ksaa gov.sa result](https://dictionary.ksaa.gov.sa/result)
- معجم المعاني الجامع، <https://www.almaany.com>
- معجم الغني، [arabdict. https://www.arabdict.com](https://www.arabdict.com).
- ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، <https://ar.wikipedia.org>